ومن اهل الكويت من هم متوسطو الحال والمال فيبيعون ويشترون مع القبائل التي تأتي هذه البلدة افواجاً متموّجة من نجد وداخلية بلاد العرب فيبيعونهم الاطعمة والالبسة اللازمة كالحبوب بانواعها والقطاني باجناسها والأنسجة والاعبية والبُنّ والتبغ ونحوها التي تؤتى من بلاد الهند وايران والعراق. امّا القبائل فتبيعهم حواصل اغنامهم وانعامهم وغزواتهم واغلب الذين يتعاطون بيع ذلك هم اليهود العجميّي الاصل الذين اكثرهم من ابي شهر (بو شير) وقد توطّنوا الكويت من عهدٍ غير عهيدٍ

١٢ً (صناعتها) قد سبقنا فقلنا ان لا صناعة في الكويت ما خلا ما عددناهُ من بعض المهن. الّا انهُ لا يجوز لنا ان نسكت عن صناعة اهلها الوحيدة وهي بناية السفن من الانواع الثلاثة المعروفة هناك وهي: الأبرام والبغال والسنابك. امّا خشبها فيؤتى بهِ من الهند (لهُ تتمّة)

رسم المجاري النهريّة في لبنان.

للاب هنري لامنس اليسوعي مدرس الجغرافية الشرقيّة في المكتب الشرقي

انّ ما سبق وصفهُ عن نهر ابراهيم والسهل المتكوّن عند مصبّهِ يقودنا الى الكلام عن «الانهار العامة» كما سمّاها المؤرخ هيرودوت متلطفاً. ولا مشاحّة فان للمياه الجارية عملاً متضاعفاً فانّها اذا ما اخربت من جانب عمّرت من جانب آخر وما سحتهُ من احد الامكنة نقلتهُ الى محلّ غيرهِ حيث يرسب ويتراكم بقدر ما حفر وجرف في مسيرهِ. وانّما جَرْف الانهار ودمارها اظهرُ للعيان واوقع في القلوب لانّ قسماً كبيراً من الموادّ الراسبة يخفى عن النظر في عمق البحار

والانهار اللبنانية من الانهار العامة فانّها استحقّت هذا الاسم بما واصلتهُ من العمل

وهو رملي طويل مستدق كالقطر يضرب الى الحمرة ويبيس وهو دباغ المعدة. وهو ضربان قثاءُ حلو وهو الاحمر ومنهُ مُرّ وهو الابيض وكلاهما لا ورق لهما (ملخّص من التاج). وقثاءُ يسمّى بالفرنسية cynomorion

منذ قرون متعدّدة. كان البحر في الاجيال الغابرة يبلغ لحف الجبال فيطحها بامواجه المتلاطمة دون ان يتوسّط بينهما شيء من السهول بل لم يفصل بينهما حاجز من الرمل. فان تغيّرت هذه الحال فانّما ذلك من فعل الانهار فهي التي اقتلعت من أعطاف الجبل ومنحدر الاودية تربتها وصخورها فدحرتها الى الخلجان والاغوار البحريّة التي كانت تُرى سابقًا عند لحف الرؤوس الجبليّة الداخلة في البحر فلم تزل تنقلها اليها حتى امتلأ قاعها. وكانت الرياح الغربيّة تهبّ في تلك الاثناء من جهة البحر فتهيج امواجه التي كانت تندفع الى الساحل وهي حاملة موادّ ترابيّة وطينًا من النيل المصريّ ورملًا فتلقي احمالها في مدخل هذه الخلجان فاجتمع عمل الانهار والبحر معًا وتكوّنت بذلك بعد سنات من الاجيال تلك السدود الحدّبة والآكام القليلة الارتفاع التي قامت بعدئذٍ في وجه البحر وردّت صدماته كما ترى في صورة نهر ابراهيم (أنظر الصورة) الذي سبق عنهُ الكلام. ومن درس سهلهُ الذي لا يزال على مرأى منّا يتّسع يومًا بعد يوم ادرك بالنظر ما جرى في سالف الزمان اذ كانت القوى الطبيعيّة مع العوامل الجويّة اشدّ فعلًا منها اليوم. امّا الانهار فجعلت هذه السدود كمجنّ تعمل من ورائهِ عملًا متواصلًا ساحيةً من اعالي الجبال ما امكنها من الصخور والطين والحصى والتربة الزراعيّة مغنيةً بها السهول. فليت شعري أليس هذا عملًا متوازيًا يقوم مقام الخراب والعمران

فعلى هذا المنوال تكوّنت شيئًا فشيئًا تلك المثلّثات الساحليّة التي تُرى عند مصبّ انهارنا والحقول الخصبة التي تمتد على ضفاف الانهار في جوار البحر. وهذا تاريخ السهول والحدائق التي تزين الساحل عند جونيه وصيدا والدامور. والتي في صحنها قامت قديمًا المدن الفينيقيّة العامرة مع ما يُحدق بها من البساتين. وعلى الخصوص ساحل بيروت فانّهُ ثمرة الانهار والسيول التي تجتاز في اوديتهِ كوادي الشويفات ووادي شحرور ونهر الموت ولاسيّما نهر بيروت فانّها كلها اجتمعت فأتت بموادها ووجدت في ضيق موقعها ما يساعدها على العمل. امّا سهل طرابلس فانّهُ لسعتهِ ورحب جوانبهِ كان يقتضي عملةً انشط واقدر تواطأوا على الشغل واحسنوا العمل نخصّ بالذكر وادي بطرّان ونهر ابي علي والنهر البارد ونهر عكّار والنهر الكبير وهو اعظمها. وكذلك الصخور حيث اليوم اسكلة طرابلس المعروفة بالميناء وما حولها من الاراضي فإنّ هي الّا سهل تركّب من مجروفات نهر

قادمًا وصار لاحقًا بالبرّ وانما كان في سالف الدهر جزيرةً منفصلة عن سلسلة الجزُر البحريَّة التي تسدّ اليوم مرفأ البلدة جنوبًا (١

وباجتماع هذه العوامل المائيَّة ومواصلة عملها على مدى الاجيال نشأت هذه الرابية العجيبة المجاورة لطرابلس. ومن اعتبر تركيبها من الصلصال والموادّ الكلسيَّة المنحدرة من الجبل ودقّق النظر في تربتها السوداء اللزجة وما تغلّفه تلك الانحاء من الحبوب مع مزدرعاتها الخصبة من الزيتون والنخل والتوت وقصب السكّر ادرك عظم شأن هذه المدينة وحسن موقعها الاقتصادي كما انهُ لا يتعجّب مما كتبهُ في شانها الكتبة الفرنج في القرون المتوسّطة اذ اعتدّوها كجنّات عدن.

وهي العوامل عينها التي شدّدت ساعدها واحسنت العمل في جوار بيروت. فانَّ هذه المدينة كانت كطرابلس وصور وصيدا جزيرة صخريَّة تقوم فوق المياه وكان البحر العجّاج يبسط ملكهُ فوق البرّ الذي ترى فيهِ اليوم غابة الصنوبر. فلمّا تحدّرت السيول اللبنانية وملأت هذا الغور بما سحتهُ من لبنان وساقت مجاري البحر قسمًا من تربة مصر الى سواحلنا امتلأ البوغاص الذي كان جنوبي غربي المدينة واتّصلت الجزيرة بالبرّ. ولنا شاهد حسيّ على فعل البحر اعني التلّفات الرمليَّة التي جاءتنا من القارة الافريقيَّة فنقلت على قول الشاعر لامرتين « الى لبنان قطعةً من صحراء مصر »

وهذه الظواهر الطبيعيَّة انما هي نواميس مقرَّرة استلفت اليها الانظار ارباب وصف البلدان منذ زمن مديد. وليس ما حدث في سواحلنا الفينيقيَّة سوى مثال مصغَّر لما حدث في الاصقاع المصريَّة. فانَّ مصر السُفلى اي المثلَّث العظيم المعروف بالدلتا لم يكن في عالم الوجود في غابر الايام اذ كان بحرنا المتوسّط يمدّ مياههُ وسيطرتهُ على الساقل تلك البلاد الى سفح جبل المقطم حيث شيّدت بعدئذٍ القاهرة

ولنا في تركيب شطّ العرب مثال آخر أقرب عهدًا الى ازمنتنا التاريخية. فان العلماء

---

١) راجع وصف لبنان لديغر Diener: *Libanon*, p. 110 ثم مقالة الاستاذ هول Ed. Hull في المجلّة الفلسطينيَّة الانكليزيَّة (PEF, 1885, p. 175) راجع ايضًا Memoir of the physical Geology of Palestine, p. 75 وكتاب ه. بروتس H. Prutz : *Aus Phœnizien*, IX

بالآثار الاشورية يتفقون على انّ اجتماع النهرين دجلة والفرات عند شط العرب انّما هو حدث جرى على الأقلّ بعد الطور الاوّل من تاريخ بابل وانّ النهرين كان يصبّان في بحر العجم كلٌّ بمفرده لكن مياههما لم تزل تنقل الرواسب التي تراكمت فمالت بسيرهما الى أن التقيا في المسير وجريا في مسيل واحد قبل ان ينصبّا في البحر (١ . وحتى اليوم اذا نظرت الى الطين المنقول بمياههما تحقّقت انّ ساحلهما يزداد كل ٣٠ سنة اتساعاً بعد ثلاثة ارباع القرن . وقد ذكر السيزاي روكلو (الارض ج ١ ص ٤٧٧) خلجاناً من الماء المالح صارت بعد مدّة لا تتجاوز حياة الانسان سهلاً وكذلك مسايل كان ينبت فيه الطرفاء اضحت غابات فنواء.

أجل انّ سيول لبنان لا تشبه الّا عن البعد انهار افريقية وما بين النهرين الّا انّ عملها ايضاً على قدر قوّتها اعني سهولاً قليلة الاتساع بالنسبة الى وادي النيل وسهول بلاد العراق (٢ . لكنّ العوامل واحدة والعمل الواحد مع اختلاف سعته وعظمه بحيث يمكننا تكرار ما سبق قوله بان لبنان افاد سوريّة كما افاد النيل ارض مصر .

ولذلك ترى كتبة الاسفار المقدّسة اذا ذكروا لبنان اطلق لسانهم على مدحه. قال ريتر (٣ : انّ بلاد فلسطين كلها تشخص بالنظر الى مشارف لبنان وحرمون المكلّلة بالثلوج الغرّاء لانّ منهما تأتيها البركة والخصب واذا سمعت الفلاح كما الراعي والقوّال كما النبيّ والمعلم كما الشاعر رأيتهم جميعاً يستعيرون من هذه الجبال المباركة ابدع ما لديهم من التشابيه واجمل ما عندهم من الرموز »

*

وقبل ختامنا هذا الفصل في انهار لبنان لا بُدّ ان نبيّن بوجيز الكلام ما لبعضها من الخواصّ بصفة حدود المعاملات والايالات . فانّ منها وهو النادر ما يكون كثير المياه طويل المجرى كالنهر الكبير الذي يحدّ فينيقية ويفصلها عن سوريّة بمناها الحصري

---

١) وهو امر تنبّه لهُ قديماً بلينيوس الطبيعيّ (ك ٦ ف ٣١)

٢) راجع ايضاً ما كتبهُ العلّامة كلرمون غانو عن تقدّم نهر الاردن الى الجنوب واتساع مصبّه في بحيرة لوط (RAO, V, 277-280)

٣) Erdkunde, XV, 16

اعني بين سورية جالسة مصر وسورية السارقين (١ ومثلهُ الليطاني الذي يحدُّ شمالًا بلاد فلسطين ونواحي صور وصيدا.

ولكن أغلب الانهار اللبنانية التي تحدّ المعاملات انّما هي مجارٍ قليلة المياه وتجري في اودية عميقة تنتهي عند البحر بمضيق او رأس يقوم مقام القلعة. واحسن مثال على ذلك نهر الكلب فانّهُ لم يكن حريًا بان يُجعل من الحدود لقصر مجراه وقلّة عرضه الّا انّ مصبّهُ عند رأس تُدافع عنهُ بسهولة شرذمةٌ من الجند وتردّ جيشًا عرمرمًا جعلت لهُ خطرًا عظيمًا في كل الازمنة. وقد كان هذا النهر على عهد الفينيقيين حدًّا لاملاك بيروت في الشمال كما كان الدامور جنوبًا يفصلها عن املاك صيدا. (٢. واليوم ايضًا نهر الكلب من حدود لبنان يفصل قائمقامية المتن عن كسروان. وقد كان على عهد رعمسيس الثاني فاصلًا بين املاك المصريين في الشام واملاك الحثّيين. والنصب الذي اقامهُ هذا الملك عند نهر الكلب انّما هو ذكرٌ ودليل معًا على حدود دولته (٣

ويوجد مجرًى آخر اصغر من الانهار السابقة. مسيلًا واقلّ شأنًا نزيد جدول المعاملتين الذي اتّخذهُ القدماء ايضًا كاحد حدود البلاد. وفي عهد الفرنج كان الفاصل بين ايالة اورشليم وايالة طرابلس (٤ والسبب انّ ضفّتهُ الشمالية عند رأس حرج ضيّق الحاز لم يكن السير فيه الّا بنقر الصخور لجواز الطريق الساحليّة. وهناك اليوم برجٌ قديم يدلّ على انهُ كان مقامًا للجند. وشماليّ هذا الجدول تبتدئ بلاد طرابلس امّا جنوبهُ فيلحق ببيروت او بصيدا. على حسب تقلّبات الدهر اذ ينتقل مركز الولاية الى بيروت او الى صيدا. ومن هذا اشتقّت اسمها المعاملتين الذي هو قديم في التاريخ كما يشهد على ذلك الكتبة العرب والرحّالون (٥

---

١) اطلب بتشان وهولشر. Pietschmann, *l. c.* 40 ; Hoelscher: *Palæstina in der persischen und hellen. Zeit*, p. 8

٢) وكذا كان على عهد الصليبيين يفصل الدامور ولاية بيروت عن ولاية صيدا (راجع راي Rey: *Colonies franques*, 509

٣) W. M. Müller : *Asien u. Europa*, 222 ; Schrader - Winckler *Keilin-schriften*, 184

٤) راجع المجلة الاسيوية (١٩٠٣ ج ١ ص ٢٤٧)

٥) راجع اخبار الاعيان (ص ١٨)

ولنا هنا ملاحظة أخرى وهو انك لا ترى على ضفّة الانهار اللبنانية لا مدينة ولا قرية مهمّة (ZDPV, XXVII, ١١٤) مثال ذلك حواضر فينيقية كصور وصيداء وبيروت وجبيل والبترون فكان حقيقاً بها ألّا تبعد عن هذه الانهار. ولعلّ السبب في ذلك ان في جوار هذه الانهار وعند مصبها تكثر الامراض الوبيئة والحمّيات ويفسد الهواء. ثم انّ الفينيقيين كانوا تجاراً لا يعتنون بالفلاحة والزراعة ومن ثم لم يختاروا لمدنهم السهول ومجاورة الانهار بل كانوا يفضلون الرؤوس الداخلة في البحر والخلجان التي تصلح لمرافئ سفنهم حيث يسهل عليهم في حصونهم البحريّة ردّ هجمات العدوّ وركوب البحر وتأمن سفنهم من الرياح وتراكم الرمل ويسهل وسقها بالبضائع. وكلّ ذلك اوفى بالمرام عند الرؤوس الصخريّة. وما يدلّ على أنهم احسنوا اختيار مواقع هذه المدن أنها لا تزال في مراكزها القديمة مع ما طرأ عليها من التقلّبات العديدة وصروف الدهر. بل ترى بعضها تتقدّم كل يوم في معارج الفلاح

مجموعة السنهادوسات الكلدانيّة

بقلم حضرة الاب الفاضل الخوري بطرس عزيز نائب بطريرك الكلدان في حلب

نشر العالم المستشرق الخوري يوحنّا شابو لاول مرّة كتاباً ذا اهمية عظمى في تاريخ الأمّة الكلدانية وهو مجموعة سنهادوسات اي مجامع قديمة (١ كانت ولم تزل عند النساطرة دستور العمل ومحور التهذيبات الكنسية فاحببنا ان نعرّف بها قرّاء المشرق الأنور

لم يكن هذا الكتاب معروفاً في اوربّة الّا من نفر قليلة استشهد بها كتبة النساطرة في تآليفهم لاسيّما عبد يشوع الصوباوي. وكان السماعنة لخّصوا منهُ بعض القوانين استناداً الى ترجمات عربية لهذه المجامع حتى اتى به الطيّب الذكر المطران يوسف داود في جملة الستة والاربعين مخطوطاً التي استنسخها في الموصل سنة ١٨٦٩ المتحف البوردجياني الذي انتقل اليوم الى المكتبة الواتيكانية. فلمّا عرف المستشرق شابو ان الاصل محفوظ في دير ربان هرمز للكلدان استجاب من هناك نسخة أخرى للمكتبة

1) Synodicon Orientale ou Recueil de Synodes Nestoriens, publié traduit et annoté par I-B. Chabot. *Paris, Imprimerie Nationale.*